لمحة تاريخية

في دير سيدة المعونات (او البنات)

مركز رئاسة الرهبانية اللبنانية المارونية العامة

بقلم حضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني (تتمة)

٣ المدرسة

المراد بالمدرسة هنا لا المدارس المجّانية العديدة التي كانت وما زالت الرهبانيّة تنشئها في جوار الاديرة يوجه الطائفة لتعليم الاحداث مبادئ اللغتين العربيّة والسريانيّة والتعليم المسيحي مما يبيّن غيرتها وعناية رؤسائها بالنشء اللبناني ليكون على ما يرضي الله ويفيد الوطن. فمثل هذه المدارس قد جاء الكلام عنها مسهباً في الجزء الاول من تاريخ الرهبانيّة لحضرة الاب العامل لويس بليبل فمن شاء الوقوف على وفرة عددها فليراجع التأليف المذكور فيتحقّق كم اخرجت على بساطتها من الرجال الذين خدموا الدين والوطن

امّا الان فكلامنا عن المدرسة التي كانت تخصصها الرهبانيّة بتنشئة ابنائها الرهبان المعدّين لقبول الدرجات المقدّسة. فهذه المدرسة كانت مثل مركز الرئاسة العامة غير مستقرّة في دير من الاديار بل منتقلة بحسب احكام الظروف الموافقة. ولم يذكر لنا التاريخ تعيين دير خاص بالمدرسة وقد جاء في فرائض القانون في «باب الدارسين» ان يعين الرئيس العام في كل معاملة ديرًا للتدريس وقد اورد هناك جميع الشروط اللازمة لادارة المدرسة ونظامها ومواد الدرس فيها واتقان علمي الفلسفة واللاهوت والكتاب المقدّس. وكان من المستصعب في ابتداء الامر ايجاد مثل هذه المدرسة المنظمة لقلة عدد الرهبان وكثرة اشغالهم اليدوية وواجباتهم الروحيّة. فكانوا يقتصرون على تدريس اللغتين العربية والسريانيّة واللاهوت الادبي في بعض الاديار لبعض الاخوة الذين فيهم القابلية الكافية. وما كان الدرس ليمنع الاخوة عن

القيام باشغال الدير كالعناية بالماشية وتربية دود الحرير والزراعة والحصاد الى غير ذلك. ومن وجد من الاخوة الدارسين ممتازاً في قابليته واهلاً لدرس العلوم العالية في المدارس الكبرى كانوا يرسلونه الى رومية او الى احدى المدارس الاكليريكية الشهيرة والرهبانية تقوم بجميع نفقاته. اما الاديار التي كانت تتنقل اليها المدرسة الرهبانيَّة بعد ان نُظِّمت على قدر الامكان فهي هذه: دير قزحيا حيث كانت المطبعة الشهيرة سنة ١٨١٤ ثم دير مار قبريانوس كفيفان(١ وعهد المدرسة فيه يرقى الى اكثر من جيل كما يُستدلّ من روزنامته. وقد انتقلت المدرسة اليه في اوقات مختلفة وعرف اكثر من سواه بكونه مدرسة جامعة وفيه الى الآن مكتبة الآباء القديسين الثمينة نحو اربعمائة مجلد مع بعض كتب خطيَّة نسخ اكثرها المرحوم الاب نعمة الله الكفري الذي صرف اكبر شطر من حياته في هذا الدير. وفي هذه المدرسة تخرَّج كثيرون من الآباء الافاضل الذين ذهبت لهم سمعة طيبة في العلم والقداسة وكانوا من الغُيُر على مصالح الرهبانية وتعزيز شأنها. منهم رجل الله المشهور الاب نعمة الله الحرديني (٢ الذي تباشر الرهبانية اليوم رفع دعواه بواسطة لجنة خاصة الى المجمع المقدس مع الاب الحبيس شربل(٣ والراهبة رفقه. ومنهم المرحوم الاب انطونيوس الفغالي الذي تفوَّق في درس اللغة العربية وله فيها منظومات ورسائل شائقة وقد نظم ارجوزة في المعاني والبيان وعلّق عليها شروحاً وهي باقية غير مطبوعة بين المخطوطات التي يحفظها حضرة الاب انطونيوس شبلي. وقد الف كتاباً في العروض وطبعه مع كتاب آخر لزيارة القربان المقدس لاجل الانفس المطهرية وفي كلها تظهر لك عبارته الرشيقة المتينة ومقدرته الكتابيَّة. ولو لم تنتَهِ يد المنون وهو في ربيع العمر لكان اتى من التآليف ما جعله معدوداً بين الكتبة المبرّزين. وقد وضع الاب نعمة الله الكفري الذي كان استاذه نبذةً مختصرة في ترجمته علقها في روزنامة الدير ابان فيها صفاته ومكافأته العقليَّة وتأسف شديد الاسف على خسارته الجسيمة

ثمَّ انتقلت المدرسة الى دير مار مارون بيرسنين والى دير سيدة ميفوق ودير

---

١) ولنا في هذا الدير نبذة سننشرها في حينها ان وفق المولى

٢) اطلب ترجمتهُ في المشرق ٥[١٩٠٢]: ٦٠٥)

٣) في المشرق ٢٠[١٩٢٢]: ٣٨٩)

القطارة حيث تعيّن مدرّساً فيها الافرنسيّة واللاتينيّة المرحوم المنسيور بطرس ارسانيوس رئيس مدرسة مار يوحنا مارون السابق ومن الاديار التي كانت تُعيَّن للمدرسة دير قرطبا والناعمة ومشموشه وبير قرب رشميا ومار موسى الدُّوار قرب بكفيا . وما زالت المدرسة الرهبانيّة على هذه الحالة من التنقل الى ان ترأس المرحوم الاب مبارك سلامه المتيني(١ على الرهبانيّة فرأى ان حاجتها شديدة الى نهضة علميّة تجعلها في مستوى العصر الحالي . فقام بتلك النهضة التي تبقى اثرًا خالدًا لغيرته على تهذيب ابناء الرهبانيّة وترقيتهم فضيلةً وعلماً . فشرى رحمهُ الله من المرحوم الياس مهارش في بيروت — حي القيراط — بثمن الف ومئة ليرة فرنسوية المدرسة الحالية التي يسكنها عدّة من الرهبان الدارسين وهم يتبعون صفوف مدرسة القديس يوسف الكليّة ويتفقهون في علمي الفلسفة واللاهوت . وقد خرج من هذه المدرسة عدد من الآباء حاملين شهادة الاستاذية وكثيرون قد انهوا دروسهم واستحق جميعهم بجدّهم واجتهادهم ثناء اساتذتهم فحفظوا لهم اجمل ذكر . كما ان اولئك التلاميذ لم ينسوا ما زالوا في قيد الحياة جميل اساتذتهم الافاضل بل يحفظون لهم اصدق عواطف الحب والاحترام . ولعلّنا نضع لمحة تاريخيّة عن هذه المدرسة

ولمّا عهد المجمع المقدس بالزيارة الرسولية للرهبانيّة الى غبطة السيد البطريرك مار الياس بطرس الحويك الكلي الطوبى وكانت للمدرسة الرهبانيّة في دير كفيفان الى ذلك العهد امر غبطته بنقلها الى دير سيدة النصر في نسبيه قرب غسطا غير بعيدة عن الكرسي البطريركي وذلك في السنة ١٩٠١ لتكون قريبة منه وقيد نظره مشمولة بعنايته الخاصة وعهد بادارتها الى نخبة من الآباء الاساتذة وجعل رئيسها المرحوم الاب اسطفان صقر البتاعلي الذي تخرج في كليّة القديس يوسف وكان من المشهورين بالخطابة والوعظ وبطريقة التعليم والالقاء فسارت المدرسة على محورها القانوني زاهيةً زاهرةً بحسن ادارتها واجتهاد تلاميذها واستمرّت على خطتها هذه وازدهارها في عهد الزيارة الرسولية(١٩٠٧ — ١٩١٠) المؤلفة من الاب مبارك غريادور البنديكتي والابوين المرحومين يوسف غالان الدومينيكاني وفرنسيس الفرّا الفرنسيسكاني اذ وجّه المجمع المقدس عنايته الى مدارس الرهبانيّة وشاء ان تعيّن

١) اطلب ترجمتهُ في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٨٥٢-٨٦٢)

اساتذتها ورؤساؤها من الزائرين الوافدين من قبله الذين كانوا يتعهدونها هم بانفسهم مرات في السنة ويرأسون امتحانات التلاميذ ويلقون عليهم وعلى اساتذتهم الارشادات والنصائح الابوية

وفي السنة ١٩١٠ اقيم رئيساً على مدرسة نسبيه المشار اليها المرحوم الاب مبارك سلامه المتيني وكان اكثر اساتذتها من متخرجي كلية القديس يوسف وكنت واحداً منهم . وكانت الزيارة في ذلك الحين بعد ان قلّد المجمع المقدس زمام الرئاسة العامة حضرة الاب الفضال اجناديوس سركيس قد انشأت في دير مار موسى الدُّوار مدرسةً اخرى ابتدائية تهيّئ الاخوة الآتين من الابتداء بعد لبسهم الاسكيم الى الدخول . اما مدرسة نسبيه واما المدرسة التابعة كليّة القديس يوسف في بيروت بحسب ما تكون قابليّتهم واستعدادهم . وما زالت هذه المدرسة الابتدائيّة على خطتها تحت رعاية الزيارة الرسوليّة حتى رأى الرؤساء بعد الحرب استئناف فتحها في دير مار جرجس عشاش في لبنان الشمالي

ولمّا أُسندت الرئاسة العامة الى الرئيس الحالي الأباتي اغناطيوس التنوري وهو على ابواب الحرب الكونيّة اضطرّ الى نقل المدرسة من دير نسبيه الى مركز الرئاسة في دير سيدة المعونات(١ وضمّ اليها في الوقت نفسه الاخوة المتخرطين في صفوف مدرسة القديس يوسف الكليّة التي اقفلتها الحكومة التركيّة ووضعت يدها عليها في اوائل شهر تشرين الثاني من السنة ١٩١٤(٢ وظل الاخوة الدارسون رغم ضيق تلك الأيام واضطرابها مستأنفين دروسهم وجمهورهم مع اساتذتهم لا يقلّ عن المئة

---

١) كان هذا الدير مدرسة رهبانية في اوائل الجيل التاسع عشر وذلك في عهد رئاسة المرحوم الاب اغناطيوس طبيل العامة على الرهبانية . وكان من اساتذة تلك المدرسة المعلم جبور نخله الجبيلي الذي كان متضلعاً من العربية . وقد تخرّج فيها بعض اباء تقلّبوا في وظائف الرهبانية وكانوا من المشهورين فيها منهم الاب عمانويل سلامه المتيني الذي صار رئيساً عاماً والاب ارسانيوس النيحاوي واغناطيوس البيروتي ونعمة الله الحصروني والاب البشاع الحرديني الحبيس شقيق رجل الله الاب نعمة الله الحرديني والاب لياوس المتيني الذي اقام في رومية سنين عديدة وكيلاً عاماً لرهبانيتنا وهناك ترجم وطبع كتاب الشهر المريمي

٢) وقد تلطّف حضرة الاب الرئيس العام واضاف في هذه الدار المباركة الآباء اليسوعيين الوطنيين المنفيّين من كليتهم في ايام الحرب فقضوا فيها اربع سنين بكل راحة وطمأنينة بنظارة وكيل الرهبنة المأسوف عليه الاب متّى ناذر كفرزينا (المشرق)

ينفق عليهم الرئيس العام وعلى حاشيته من ريع املاك الوظيفة(١ دون ان يكلف اديار الرهبانيّة شيئاً . وكنتُ في اثناء ذلك مستلماً ادارة المدرسة وقد انضمّ اليهـا بعض الاكليريكيين اجابةً لرغبة مدير المـدرسة الاكليريكيّة الشرقيّة في كليّة القديس يوسف كما تقدّم الكلام . وكانت المدرسة سائرة بنظامها وصفوفها كل تلك الحقبة ترعاها عين عناية الله تعالى بصلاة ودعاء الرئيس العام الذي كان وما زال يظلّلها بجناحي عنايته ورعايته الابوية . وكنت اشاهد بعين دامعـة وقلب مكسور وفود الفقراء والمحتاجين يأتون ذلك المرجع زرافات ووحداناً مستغيثين بالرئيس العام الذي كان يغيثهم بحسب استطاعته وهو يودُّ انقاذهم من مخالب المئون بتضحية حيانـه لو كان ذلك ضامناً انقاذهم . وكانت الرسائل ترد مركز الرئاسة العـامّة من كل أوب وصوب متضمّنة ارقّ عواطف الطلب والرجاء بافصح تعابير التوصية والاستغاثة وكان لها وقعها وتأثيرها في قلب كل عطوف ولاسيما في قلب ذلك الرئيس المفطور على الحنان والشفقة الذي كان يطالعها بدمعة العين وانكسار القلب . وقد شدَّ الله ازره بمن كان وما زال يعتمده في ادارة الشؤون المالية واكثر المهام الرهبانية نعني به حضرة الاب الاستاذ في اللاهوت والفلسفة مرتينوس طربيه الوكيل العام الحالي فان آثار تفانيه واخلاصه في خدمة الرهبانية تكفيه مؤونة المدح والاطراء واعمال غيرته وجهاده في ايام الحرب الكونية وان بقيت خفيّةً طبقاً لروح الانجيل فانها ترقم له صفحةً بيضاء بين صحائف تلك الايام السوداء

وفي خلال السنة ١٩١٦ انتُدبتُ انا وحضرة اخينا الاب لويس البتروني المرسل البطريركي من غبطة السيد البطريرك مار الياس بطرس الحويك الكلي الطوبى الى توزيع بعض الحسنات وكسر الخبز الروحي والمادي على البؤساء . فاضطرَّ الرئيس العام بنفسه مع بعض الآباء من حاشيته ان يدير المدرسة وكثيراً ما نصّب نفسه استاذاً لصفّ الدارسين نحو اللغة العربيّة وصرفها . وكان مدرّساً للبيان في تلك

(١ المراد بالوظيفة هنا وظيفة الرئاسة العامة فان الرهبانية قد خصصت لها بعض املاك تستدرّ ريعها لكي تقوم بما عليها من المصاريف على ادارتها او على الاخوة الدارسين او لمساعدة بعض الاديار ان بقي لديها فائض . واهمّ املاك الوظيفة هي من حرير وزيتون في جهات الزاوية شمال لبنان

المدرسة المأسوف عليه كل الاسف المرحوم الاب نعمة الله ابي ناضر الذي عُرف بتفانيه في خدمة الرهبانيَّة والدفاع عن حقوقها واشتهر بإطاعته واخلاصه لرؤسائه وشديد غيرته على اخوته الرهبان وتمكينهم بالاخص من اللغة العربيَّة وهو من اساتذتها وكتبتها المعروفين. وقد تخرَّج عليه عدَّة آباء في الرهبنة فتضلَّعوا من تلك اللغة وهم الان اساتذة في المدارس الرهبانيَّة او مرسلون في البلاد

ولمَّا وضعت الحرب اوزارها واحتلَّت جيوش الحلفاء هذه البلاد عدتُ فاستلمت ادارة المدرسة في دير سيِّدة المعونات الى ان تعيَّنت من الزيارة الرسوليَّة ومجمع المدبّرين رئيساً على مدرستنا التابعة مدرسة القديس يوسف الكليَّة في بيروت فأتيتُ بالاخوة المعيَّنين في هذه المدرسة لاستئناف دروسهم كما كانوا قبل الحرب. وأُسندت بعد حين ادارة المدرسة في مركز الرئاسة العامة الى حضرة الاب الفاضل انطونيوس جرفوش حامل شهادة الاستاذية باللاهوت والمدبّر الاول سابقاً وقرَّر عندئذٍ الرئيس العام ومجمع المدبّرين في جلسة خاصة ان يتعيَّن دير سيدة المعونات مدرسةً رسميَّةً لابناء الرهبانيَّة. وقد صدَّقت الزيارة الرسوليَّة هذا التعيين وامرت ببناء طابق علوي في الجهة الغربية من الدير ليكون منامًا يسَع نحوًا من سبعين سريرًا. ففي الرئيس العام ببنائه واقام في جهتيه الشماليَّة والجنوبيَّة قلالي لاجل مدير المدرسة واساتذتها

اما اللغات التي تدرَّس في هذه المدرسة فهي العربيَّة والسريانيَّة ومبادئ الافرنسيَّة. ومن طلبتها يُنتخَب من فيهم القابليَّة على درس العلوم العالية في مدرسة القديس يوسف الكليَّة والباقون بعد ان يُتقنوا اللغتين العربيَّة والسريانيَّة يدرسون الفلسفة مدة سنة واللاهوت ثلاث سنوات وفي خلالها يتمرَّنون على الخطابة والوعظ. ويقيمون صلوات الخورس وجميع الاحتفالات الكنائسيَّة. وفي كل سنة يأتي عدد منهم النادي البطريركي في بكركي لاجل القيام بالصلوات والرتب مدة اسبوع الآلام تلبيةً لاشارة غبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى

ومما يفرضه قانون المدرسة وينفذُ اذا ذكره ان يتعاطى الدارسون الشغل اليدوي مدَّة ساعتين في كل يوم ترويحاً لابدانهم عوضاً عن الالعاب الرياضية التي يفرضها ارباب المدارس وان يتمرَّسوا بعد الدرس العقلي بأعمال اليد تذكرةً وقدوةً بما كان يعانيه اسلافهم الرهبان من آباء واخوة من الجهود والانصاب في حرث الارض

وزرعها وتشييد الاديار وتوسيع املاكها اذ هي المورد الوحيد لعاش الرهبان المحافظين عليها بعرق جبينهم . وتضمّ اليوم تلك المدرسة جمهوراً يبلغ المئة راهب يقوم الرئيس العام بنفقاتهم كلها وبجميع مصاريف مدرسة الرهبانيّة في بيروت وعدد جمهورها لا يقلّ عن الثلاثين نفساً ما عدا الرهبان الضيوف النازلين فيها اذ يأتون المدينة لاشغال لهم . وبما ان مداخيل وظيفة الرئاسة العامة لا تكفي للقيام بهذه النفقات الباهظة يفرض مجمع المدبّرين في كل سنة مساعدة عمومية لمدرسة الرهبانية على جميع الاديار كلٌّ بحسب مكنته وحالته . وعدد الطلبة الرهبان اليوم في المدارس الثلاث المارّ ذكرها اي المدرسة الابتدائية في دير مار جرجس عشاش والمدرسة الثانوية في دير سيدة المعونات وفي مدرسة بيروت يبلغ المئة والعشرين راهباً دارساً ويكثر ويقلّ هذا العدد بحسب قلة او كثرة الدعوات واستعداد الاخوة للدرس او عدمه

ويسرّنا ان نذكر ان في مدرسة دير سيدة المعونات مكتبةً تحتوي نحواً من خمسمائة كتاب بينها نحو مئة واربعين مجلداً خطيًّا (١ قد جمعها منذ سنوات بكدّه واجتهاده حضرة الاب انطونيوس شبلي اللبناني كاتب اسرار الرئاسة العامة حاليًّا فاستحقّ اطيب الثناء وهو دائب في توسيع تلك المكتبة وتنظيمها ووضع فهرس مطوّل لها كما يفرض القانون الرهباني فلا يذهب منها كتاب نفيسة الضياع والاهمال

والسعي مبذول في مدّ شعبة من طريق العربة الى الدير وهي على وشك النهاية والمدرسة الان سائرة على خطّتها ونظامها بفضل ما يبذله حضرة مديرها واساتذتها من التفاني والغيرة لاجل نجاحها وازدهارها تحت رعاية وعناية ذلك الرئيس الذي أقلّ ما نقول فيه انه بارشاداته الابوية وصلواته الدائمة وامثلته الصالحة وعظة حيّة لاولئك الرهبان الراغبين في الكمال فضيلةً وعلماً

ولسنا نغالي اذا قلنا ان تلك المدرسة القائمة على رابية فوق مدينة الفينيقيين هي اشبه بمنارة على جبل يستنير بضوئها كل من جاورها . وتخرج منها الآباء ايام الآحاد والاعياد ليقوموا بخدمة النفوس في مدينة جبيل والقرى المجاورة . وفي كل سنة يوفد الرئيس العام تلبيةً لرغائب غبطة السيد البطريرك المقدسة نخبةً من الاباء الذين لهم

١) راجع وصف بعضها في المشرق (٢٩ [١٩٣١]: ٦٥٧-٦٦٠) .

الرهبان الدارسون في دير سيدة الموتات